﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٥٨ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ٥٩﴾ [الحج: 58 - 59]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

في مناسبةِ الآيةِ لِما قبلها وجهان:

الأوَّل: لَمّا ذكَرَ اللّهُ تعالى أنَّ المُلْكَ له يومَ القيامةِ، وأنَّه يَحكُمُ بين العباد، ويُدخِلُ المُؤمنينَ الجَنّاتِ؛ أتبَعَهُ بذِكرِ وعْدِهِ الكريم للمُهاجِرينَ، مُفرِدًا لهم بالذِّكرِ تفخيمًا لشأنهم، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1]، **والثاني:** لمّا كان المشركون يمنعونَ بهذه الشُّبَهِ - التي يوحيها إليهم أولياؤهم من الشياطين - كثيرًا من الناسِ عن الإيمان، وكانوا لا يتمكَّنون بها إلّا ممَّن يخالطُهم؛ رغَّبَ سبحانه المؤمنين في الهجرةِ حرصًا عليهم، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[2].

اختصاصُ اللهِ المهاجرين بالذِّكرِ تفخيمٌ لشأنِهم وترغيبٌ في الهجرة

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿هَاجَرُواْ﴾: (هجر) أصلٌ يدلُّ على قَطيعَةٍ وقَطْعٍ، والهَجْرُ: ضِدُّ الوَصْلِ، وهاجَرَ القَوْمُ مِنْ دارٍ إلى دارٍ: تَرَكوا الأولَى لِلثّانيَةِ، كما فعَلَ المُهاجِرونَ حينَ هاجَروا مِنْ مَكَّةَ إلى المَدينَةِ[3]، والاسمُ: الهِجرة (بالكَسْرِ والضَّمِّ): الخروجُ من أرضٍ إلَى أُخْرَى، وفي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الخروجُ من دارِ الكُفرِ إلى دارِ الإيمان[4]، وهو المعنى المُراد في الآية الكريمة.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 243.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 76.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هجر).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (هجر).

2) ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ﴾: (رزق) أصلٌ يَدُلُّ على عَطاءٍ لِوَقْتٍ، ثُمَّ يُحمَلُ عليه غَيرُ المَوْقوتِ، فالرِّزْقُ: عَطاءُ اللهِ جَلَّ ثَناؤُهُ[1]، والرِّزْقُ: كُلُّ ما يُنْتَفَعُ بِهِ مِنْ مالٍ ونَحْوِهِ، والجَمْعُ: أَرْزاقٌ[2]، والرَّزْقَةُ: المَرَّةُ الواحدةُ[3]، والرَّزْقُ بفتحِ الرّاءِ: العَطاءُ الدّائِمُ، يُقالُ: رَزَقَ يَرْزُقُ رَزْقًا، أيْ: أعْطَى ووَهَبَ، والرّازِقُ: المُعْطي، وهوَ اللهُ[4]، وكُلُّ ما يَصِلُ إلَى الجَوْفِ، ويُتَغَذَّى بِهِ؛ فهوَ رِزْقٌ، ومِنْ معاني الرِّزْقِ أيْضًا: الكَسْبُ، الهِبَةُ، الصَّدَقَةُ[5]، ومعنى ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ﴾: موافقٌ للمعنى اللُّغوي، أيْ: "لَيُجرِيَنَّ عليهم من فضْلِهِ ورَزْقه من الجنَّةِ ما تقرُّ به أعينهم[6].

3) ﴿مُّدْخَلًا﴾: (دخل) أصلٌ مطَّرد منقاسٌ هو الوُلوجُ[7]، دَخَلَ يدخلُ دُخولًا، والمَدْخَل: الدُّخول ومَوْضِعُ الدُّخول أيضًا، تَقولُ: دَخَلْتُ مَدْخَلًا حَسَنًا، ودَخَلْتُ مَدْخَلَ صِدْقٍ، والمُدْخَل (بِضَمِّ الميم): الإدْخال، والمَفْعولُ مِنْ أدْخَلَه، تَقولُ: أدْخَلْتُه مُدْخَلَ صِدْقٍ[8]، والدُّخولُ: نَقيضُ الخُروجِ، ويُستعملُ ذلك في المكانِ والزمانِ والأعمال[9]، ومعنى ﴿مُّدْخَلًا﴾ في الآية موافقٌ للمعنى اللغوي، أي: اسمُ مكانٍ أُريدَ به الجَنَّةُ[10].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

وعْـــدُ الـلـهِ لـلـمـهـاجـريـن بالرزقِ الحسنِ والمدخلِ المرضيّ عوضًا عمّا تركوه

الذين فارَقوا ديارَهم وأهليهم طلبًا لرِضا اللهِ وطاعَتِه، ثُمَّ قُتِلوا، أو ماتوا دونَ قَتلٍ، فإنَّ اللهَ سيُثيبُهم رِزقًا كَريمًا حَسَنًا، وإنَّ اللهَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رزق).
(2) ابن دريد، جمهرة اللغة، والجوهري، الصحاح: (رزق).
(3) ابن عباد، المحيط في اللغة: (رزق).
(4) ابن دريد، جمهرة اللغة: (رزق).
(5) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (رزق).
(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/ 283.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دخل).
(8) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (دخل).
(9) الراغب، المفردات: (دخل)، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: 2/ 7.
(10) الشوكاني، فتح القدير: 3/ 549، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 311.

لَهو أفضَلُ مَن يَرزُقُ عِبادَه، ويُعطيهم مِن فضْلِه؛ وسيُدخلهم الجنَّةَ، فيَرضَونَ بذلك، ولا يَبغونَ بها بَدَلًا؛ جزاءً لهم على خُروجِهم مِن ديارِهم وأوطانِهم في سَبيلِه، وإنَّ اللهَ لَعليمٌ بمَن يَخرُجُ في سَبيلِه، ومَن يَخرُجُ طَلَبًا للدُّنيا، حَليمٌ بمَنْ عصاه، فلا يُعاجِلُهم بالعُقوبة، بل يواصِلُ لهم مِن رِزْقِه، ويَمنَحُهم مِن فضْلِه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواوِ في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾:

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ عاطفةٌ، والمعطوفُ عليه قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾، وهو من بابِ عَطفِ الخاصِّ على العامِّ؛ إذ المهاجرون من زمرةِ المُؤمنينَ، وغرضُ العطفِ تفخيمُ شأنهم[2]، وإظهارُ شرافتهم وقُربهم من اللهِ تعالى، وإنعامهم بأنواعِ الكراماتِ ممتازين عن سائرِ المُسْلمينَ والمسلمات[3]، وكذلك التَّنويهُ بشأنِ الهجرة[4]، ويُحتملُ أنْ تكون الواو استئنافيَّةً، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ابتداءُ معنًى آخر[5].

في عطفِ الخاصِّ على العامِّ تفخيمٌ لشأنِ الهجرةِ والمهاجرين

والصَّدُّ عن سبيل الله قد يتسبَّبُ عنه هجرة الضُّعفاء من أهل الإسلام والإيمان، فهذه الآية مُتَّصلةٌ بالآية الخامسة والعشرين في السِّياق البعيد؛ إذْ هي معطوفةٌ عليها من باب ردِّ العَجُزِ على الصَّدر، كما رجَع إليها آية: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: 38] من بعد الحديث عن الحجِّ وبعض أحكامه ومعانيه، ومِمّا حسَّن ذِكْرَها في السّورةِ ذِكْرُ الحجِّ فيها، فإنَّ الحَجَّ فيه معنى الهجرة.

وفي الآيةِ ردٌّ للعَجُزِ على الصَّدر

(1) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 674.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 243.
(3) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 13/ 102.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 309.
(5) ابن عطيَّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 130.

غرضُ التَّعبيرِ بالاسم الموصول وصلته:

مَن عُرِفَ بالهجرة في سبيل الله؛ كان معروفًا في حضرته

في التعبيرِ بالاسمِ الموصولِ (الذين) وصلته في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، دونَ التعبيرِ بالاسمِ الظاهر (والمهاجرون) إيماءٌ إلى سببِ استحقاقِ المهاجرينَ في سبيلِ اللهِ لهذا الخيرِ الكبيرِ من الرِّزقِ الحَسَنِ والمُدخل الكريم، واستوائهما في هذا الفضلِ، وهو خروجهم في سبيلِ الله، وقصدهم نصرَ دينه، فقُتلوا، أو ماتوا، وفي هذا حثٌّ على تجميعِ المؤمنين في لواءٍ واحدٍ، وكلُّ مؤمنٍ مدعوٌّ للهجرةِ حتى لا يكونَ المؤمنون مبعثرينَ في الأرض... فليس لمؤمنٍ أنْ يعيشَ ذليلًا للاستضعافِ في أرضِ عدوٍّ لا يستطيع أنْ يُقيمَ شعائره الإسلاميَّة فيها[1].

الموقع النَّحويُّ للاسم الموصول:

يوم القيامة يُحتفل بالطّائعين من عباد الله

الاسم الموصول (الذين) في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ مبتدأ، وخبرُه جملة ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ﴾[2]، والابتداءُ بالاسمِ الموصولِ (الذين) - والمقصود به الذين هاجروا في سبيلِ الله - إشارةٌ إلى تقديمهم والاهتمام بهم ورفعة شأنهم.

فائدةُ الحديث عن الوعدِ للمهاجرين بعد وعيد المُكذِّبين:

الهجرةُ من أمهات الصالحات

أتْبعَ البيانُ الإلهيُّ حديثَهُ عن المُكذِّبين وما توعَّدهم به من عذابٍ مُهينٍ في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ بالحديثِ عن المهاجرين، وما أعدَّه الله لهم من رزقٍ حسنٍ ومُدخلٍ يرضونه عِوضًا عمّا تركوا من ديارٍ وأموال؛ تنويهًا بشأنِ الهجرة وحثًّا وتصبيرًا عليها رغم ما تحمله من صعوبات؛ لأنَّها كانتِ الحصنَ الرئيسَ في دفعِ الظُّلمِ عن أنفسهم، وحمايتهم من الافتتانِ في دينهم تحت وطأةِ ما يلاقونه من التَّعذيبِ، والإغراءاتِ الدُّنيويَّة،

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 5011.

(2) الصاوي، حاشيته على تفسير الجلالين، ص: 1245، والشوكاني، فتح القدير: 3/ 549، والهرري، حدائق الروح والريحان: 18/ 391.

والشُّبَه التي يروِّجها كفّارُ قريش، ولأنَّها كانت كذلك الأساسَ الأوَّلَ لبناءِ دولةٍ موَحِّدَةٍ في المدينةِ تواجهُ دولةَ الكفر والإشراك.

بضدِّها تتميَّزُ الأشياءُ

وفي وعدِ المهاجرين بعد وعيدِ المكذِّبين إظهارٌ للبونِ الشاسعِ بينهما، وتصويرٌ لأعلى درجاتِ التَّضادِّ بين الفريقَيْن: فريقِ الكافرين المُكذِّبين بآياتِ اللهِ الذي حملهم استكبارُهم وعُتوُّهم على التَّكذيبِ وعدمِ الطّاعة والتَّسليم؛ فاستحقّوا الوعيدَ بالعذابِ المهين، وفريقِ المهاجرين الذين تجرّدوا من كلِّ شيء، ومن كلِّ ما تعتزُّ به النَّفسُ، وتحرصُ عليه من الأهلِ والديارِ والأوطان، وآثروا العقيدةَ على هذا كلِّه طاعةً للهِ وتسليمًا له، وابتغاءَ رضوانه، فاستحقّوا الوعدَ بهذا الإكرام.

معنى ﴿فِي﴾ في قوله: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾:

المهاجرُ مَن أبصر سبيل الله

أفادَ حرفُ الجرِّ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ معنى الظَّرفيَّة المجازيَّة، والتَّعبيرُ بها إيذانٌ بكمال صدقهم وإخلاصهم في تركهم الدّيارَ والأموالَ، فإنَّهم جعلوا طريقَ ذي الجلالِ والإكرام التي شرعها ظرفًا لمهاجرتهم، فلم يكنْ لهم بها غرضٌ آخر[1]، فهم في هجرتهم مظروفين للدّينِ مراعينَ له لا يخرجونَ عنه بوجهٍ ما مهما اشتدَّت بهم الأحوال، وفي جعل سبيل الله ظرفًا للهجرة معنى إحاطة المهاجرين بمعنى الظَّرْف، فقد فقهت بصائرُهم حقيقةَ سبيلِ الله، فهم يسيرون في أنوارِه وهداياته، وفي هذا كلُّ مدحٍ لهم وثناءٍ عليهم.

فائدةُ التقييد بشبه الجملة: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾:

الهجرةُ الحَقَّةُ قرائنُها جليَّةٌ

قيَّدَ البيانُ الإلهيُّ الهجرةَ بكونها في سبيلِ الله في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ لبيانِ أحدِ أهمِّ شروطِ الهجرةِ، وهي أنْ تكونَ في سبيلِ الله، لا من أجلِ دنيا يُصيبها، أو امرأة ينكحها،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 76.

ولإفادةِ أنَّ الهجرة جهادٌ في ذاته، فالذين هاجروا في سبيلِ اللّهِ تعالى - ليجتمعوا مع المؤمنينَ، ويجاهدوا معهم - لهم جزاءُ الرزقِ الحسنِ والمُدخل الكريم[1].

غرضُ الالتفاتِ في قوله: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾:

غـابـت عـنـهـم ذاتُـهُ، وحضرت فيهم أسماؤه وصفاته

عَدَلَ البيانُ القرآنيُّ عن ضميرِ المُتكلِّم الجمعِ ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾، في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ إلى صيغةِ الضميرِ الغائبِ المُفرد ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فلم يَقُلْ: (في سبيلنا) لاختلافِ المقتضى؛ إذ إنَّه في الآية الأولى لَمّا كانتْ تتحدَّثُ عن وعيدِ الكافرين بالعذابِ المُهينِ؛ عبَّر بضميرِ المُتكلِّم الجمع الدّالِّ على عظمةِ اللّه وعظمةِ فضله في إنزالِ الآيات بما يدلُّ على عظيم قبحِ فعلِ الكافرين، واستحقاقهم هذا العذابَ المهينَ، أيْ: كفروا، وكذَّبوا بالآياتِ رغم عظمتها وعظمةِ مُنزلها، ولكنَّه لَمّا انتقلَ للحديثِ عن المهاجرينَ، وما أعدَّه لهم من العطاءِ؛ عدلَ إلى التَّعبيرِ بضميرِ الغائبِ المُفرد؛ ليُشيرَ إلى فضلِ المؤمنين المهاجرين.

المـهـاجـرون اتَّخذوا الهجرةَ مَسلكًا يتعرَّفون به على الله

وفي العدول إلى ما عليه التَّنزيلُ بيانُ أنَّ المهاجرين اتَّخذوا الهجرة مسلكًا يتعرَّفون به على اللّه، ويترقَّون به في سُلَّمِ مقامات الإيمان، وقد أدركوا معاني أسمائه وصفاته التي أخبر بها القرآن عنه ﷺ، وأخبرت بها السُّنَّة المُطهَّرة.

معنى ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ قُتِلُواْ﴾:

قد تجمع (ثم) بين التراخي الحقيقي والمجازي

﴿ثُمَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُواْ أَوْ مَاتُواْ﴾؛ حرفُ عطْفٍ يدلُّ على التراخي في موضعه؛ لأنَّ قتلهم ليس عَقِبَ الهجرة، ولا موتهم كذلك، بل إنَّهم يعيشون مقيمينَ مع المؤمنينَ ما شاء اللّهُ أنْ يقيموا مجاهدين حتى يستشهدوا في قتالٍ، أو

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 5011.

يموتوا حتْفَ أنوفهم[1]، ففي هذا التراخي إشارةٌ إلى طولِ العمرِ، وفيه أيضًا علوُّ الرُّتبةِ بسببِ الهجرةِ[2]، فجمَعَ الحرفُ: ﴿ثُمَّ﴾ بين التَّراخي الحقيقيِّ والتراخي المجازيِّ.

نكتةُ التَّعبيرِ بالفعل المبني للمفعول ﴿قُتِلُوٓاْ﴾:

قاتلُ الشَّريف حقيرٌ، ولو كان مَلِكًا

آثرَ البيانُ الإلهيُّ التعبيرَ بالمبني للمفعول ﴿قُتِلُوٓاْ﴾ في قوله: ﴿هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ﴾، ولم يأتِ بالمبني للفاعل، فلم يَقلْ: (ثمّ قتلهم المشركون أو الكافرون أو أعداؤهم)؛ للتركيزِ على الحدثِ، وهو القتلُ، أي: الشهادةُ في سبيلِ اللّه، وحصرِ الوعي فيه، وللدَّلالةِ على العمومِ والإبهامِ في القاتل، ولئلّا يُعكِّر صفوَ الحديث عنهم ومدحهم بذكر أولئك الأعداء.

بلاغةُ توجيهِ القراءات في: ﴿قُتِلُوٓاْ﴾:

سبحانَ مَن ألقَى في قلوب أصفيائه محبَّةَ القتلِ في سبيله

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ﴾ قراءتان متواترتان، قرأ ابن عامر بتشديد التاء ﴿قُتِّلُوٓاْ﴾، والباقون بتخفيفها[3]، وقراءةُ التَّشديد تفيدُ معنى التَّكثير[4]، أيْ: تُفيدُ المبالغةَ وكثرةَ القتل، بينما قراءة التَّخفيف لا تُفيدُ التَّكثيرَ والمبالغة، وفي اختلافِ القراءتَيْن إشارةٌ إلى تنوُّع أحوال المهاجرين وما يُصيبهم من شدائد بين قتلٍ وتقتيل، وفي الجمعِ بين القراءتَيْن جمعٌ لأحوالِ المهاجرين الذين قُتلوا في سبيلِ اللّه، فهم في جميعِ أحوالهم وعدهم اللّهُ بالرِّزقِ الحسن والمدخلِ المرضي.

وفي قراءة التَّشديد إشارةٌ إلى صعوبة القتل على النَّفس؛ لأنَّها قُتِلَت، وهي غريبة، وفي قراءة التَّخفيف إشارةٌ إلى حُبِّ المُحدَّث عنهم للقتل، حيث هو وسيلةٌ جليلة إلى غاية أجلَّ منها، حيث لقاءُ الأحبَّةِ محمَّدٍ ﷺ وصحبِه، في الدرجات العلا في جنات الخلد.

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 5012.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 77.
(3) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص: 255، وابن الجزري، النَّشر: 2/ 243.
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 89.

معنى ﴿أَوۡ﴾ في قوله: ﴿أَوۡ مَاتُواْ﴾:

لا حرج على فضل الله ﷻ

بالتَّعبير بحرف ﴿أَوۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ﴾ سوَّى القرآنُ في الوعدِ بين من قُتِلَ في الجهادِ، ومن ماتَ حتفَ أنفه، مِن الذين هاجروا؛ لاستوائهما في القصدِ وأصلِ العملِ، فيُعطي من ماتَ منهم مثلَ ما يُعطي من قُتِلَ فضلًا منه وإحسانًا، وقد رويَ في سبب نزول الآية أنَّ بعضَ الصحابةِ رضي اللّه تعالى عنهم قالوا: يا نبيَّ اللّه هؤلاء الذين قُتلوا قد علمنا ما أعطاهم اللّهُ تعالى من الخيرِ، ونحنُ نجاهدُ معك كما جاهدوا؛ فما لنا إنْ متنا؟ فنزلت الآية[1].

الغرضُ من تقديم القتلِ على الموت:

المقيسُ عليه أصلٌ للمقيس

في تقديمِ القتلِ على الموت في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ﴾ رغمَ استوائهم في وعدِ اللّهِ بالرزقِ الحسنِ والمُدخل المرضيِّ لهم؛ متّسقٌ مع محور السورة المتعلّق بجانب رفع الشعائر الدينية والتمكين للمؤمنين.

معنى اللّام في قوله: ﴿لَيَرۡزُقَنَّهُمُ﴾:

في لامِ القَسَمِ توكيدٌ لوعدِ اللهِ للمهاجرين بالرِّزقِ الحَسَنِ

لام ﴿لَيَرۡزُقَنَّهُمُ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ﴾ موطِّئةٌ للقسم، والجملةُ الفعليَّةُ جوابٌ لقسمٍ محذوف، تقديره: (وعزَّتي لَيَرزُقَنَّ اللّهُ الذين خَرَجوا مِن ديارِهم طَلَبًا لرِضا اللّهِ ونُصرةً لدينِه، ثم قُتِلوا أو ماتوا رِزقًا كريمًا حَسَنًا)، والجملةُ القسميَّةُ وجوابُها خبرٌ للمبتدأ ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾، ومن منعَ ذلك يُضمرُ قولًا هو الخبرُ، والجملةُ محكيَّةٌ به[2]، والقَسَمُ يُفيدُ التَّوكيدَ، أيْ: توكيد وعدِ اللّهِ للمهاجرين بالرِّزقِ الحسنِ إكرامًا وتطمينًا لهم.

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 76، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 529.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 116.

نكتةُ توالي المُؤكِّدات في: ﴿لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنًاۚ﴾:

عـمـومُ الـجـزاءِ كـنـايـةٌ عـن عظمته وفخامته

أكَّد البيانُ القرآنيُّ جملة ﴿لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنًاۚ﴾ بعدَّة مُؤكِّدات، هي: اللّامُ الموطِّئة للقَسَم، ونون التَّوكيد الثَّقيلة، والمصدر ﴿رِزۡقًا﴾، ووصفُ الرِّزق بالحَسَن، وهو الرِّزقُ الدّائم الذي لا ينقطع، وهذه المُؤكِّدات تُفيدُ المبالغةَ في عَظَمةِ هذا الرِّزق، وأنَّه لا ينقطعُ، ولا يزولُ، وهو خيرُ زرقٍ وأطيبه وأوسعه[1]، سواءٌ أكان المقصودُ به رزقَ الشهداءِ عند ربهم في البرزخِ، أم في الجنَّة[2]، وهذه المُؤكِّدات تُبيِّنُ أنَّ في هذا الرِّزق شيئًا أو أشياء عجيبة وغريبة، ممّا يحتاج المُتلقّي معها إلى توكيد وتحقيق.

نكتةُ تنكير ﴿رِزۡقًا﴾:

الـعـطـاءُ بـقـدرِ المُعْطي

نكَّرَ البيانُ الإلهيُّ لفظَ ﴿رِزۡقًا﴾ في قوله تعالى: ﴿لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنًاۚ﴾، لإفادةِ معنى التَّكثيرِ والتَّفخيمِ والتَّعظيمِ لشأنِ هذا الرَّزق، فرِزْقُ اللهِ العظيمِ عظيمٌ، فهو رزقٌ حسنٌ لا ينقطع؛ إذ هو خالدٌ بإخلادِ الله له، وكلمة ﴿رِزۡقًا﴾ إمّا مفعولٌ ثانٍ؛ أيْ: مَرزوقًا حسنًا، أو مصدرٌ مُؤكِّدٌ لإكرامِ اللهِ عباده المؤمنين بالرِّزقِ الحَسَنِ الذي لا ينقطع[3].

فائدة وصف الرِّزق بالحسن:

تميَّزوا بالهجرة، وتفوَّقوا بحُسن ثوابها

الرِّزق الحَسَن هو الرِّزق الدّائم الَّذي لا ينقطع، وقيل: هو الجنَّة، وقيل: هو قوله ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۚ﴾، وفي وصْفِ هذا الرِّزقِ بالحُسْنِ بيانُ أنَّ اللهَ يُرْضيهم بحيث لا يَتطلَّبون غيرَه؛ لأنَّه لا أحسَنَ منه[4]، وهذا الوصفُ ناظرٌ إلى آثار الهجرةِ من الغربة وغيرها، فهو رزقٌ يُعوِّضهم الله به عمّا فقدوه مِن تلك الأمور، فلذلك كانوا مُميَّزين في ثوابهم عن غيرهم.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 116، والشوكاني، فتح القدير: 3/ 549.
(2) ابن عطيَّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 130.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 116، والشَّوكانيُّ، فتح القدير: 3/ 549.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 310.

معنى الواوِ في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾:

تمكينُ الوعد بالرِّزق الحَسَن رِزقٌ حسَنٌ

الواو في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ اعتراضيَّةٌ، والجملةُ بعدها معترضةٌ بين البَدَلِ ﴿لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقٗا حَسَنٗاۚ﴾ والمُبدلِ منه ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۚ﴾؛ تقويةً للكلامِ الذي اعترضتْ بين أجزائه وتوكيدًا لمعناه؛ إذِ الاعتراضُ جارٍ عند العرب مجرى التَّأكيد، أيْ: مبالغةً في بيانِ أهميَّةِ ما أعدَّه اللهُ للمهاجرين في سبيلهِ من الرِّزقِ الحَسَنِ، وتوكيدًا لوقوعهِ، بما يُعدُّ إشارةً إلى الحثِّ على الهجرةِ في سبيلِ اللهِ والجهادِ والاستشهادِ لنصرةِ دينِ اللهِ سبحانه، وإضفاءُ الاعتراض من معناه على الجملتَيْن الأخرتَيْن أبلغُ من إضفائه عليهما، وهو مؤخَّرٌ في موقعه، فهو مُمسِكٌ بالجملتَيْن، ومضمونُهُ جارٍ في جميع عروقهما.

فائدةُ تتابعِ المؤكِّدات في ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾:

التَّوكيدُ صورةٌ لمغايرة رزقه لهم لرزقه غيرَهم

أكَّدَ البيانُ القرآنيُّ جملة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ بعدَّةِ مؤكِّدات؛ بكونها جملةً اسميَّة تدلُّ على الثُّبوتِ والدَّوام، وبحرفِ التوكيدِ (إنّ)، واللّامِ المُزحلَقة، ومجيءِ الخبرِ ﴿لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ جملةً اسميَّة أيضًا، حيث أفادتْ هذه المؤكِّداتُ المبالغةَ في تصويرِ عَظَمةِ رِزْقِ اللهِ تعالى[1]؛ لأنَّه لمّا كان مضمونُ الجملةِ حقيقةً عظيمةً؛ كان من حقِّها أنْ يُعبِّرَ عنها بأسلوبٍ عظيم، وما هذه المُؤكِّدات إلّا علامةٌ قويَّة على عجيب هذا الرِّزق الإلهيِّ وغريبه، ومن ذلك عمومُهُ الشَّديد، ومغايرتُه لما يألفه المخلوقون وغيرُ ذلك، وقد ازداد ذلك حُسْنًا وبراعةً بإجمال المعنى.

نكتةُ حذْفِ متعلَّق ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾:

إيجازٌ حكيمٌ غرضُهُ بيانُ فضلِ اللهِ على العالمين

أوجز البيانُ القرآنيُّ بعدم ذكر مُتعلَّق ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ لإفادةِ

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 116، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 322.

عمومِ المُتعلَّق، فهو خيرُ الرازقين لعبادِهِ من الإنسِ والجنِّ وجميعِ مخلوقاته، فكان في الحذف دلالةٌ على الألوهية، فإذا كان رازقًا بتلك الصِّفة؛ فكيف يكون رزقُهُ لهؤلاء.

دلالةُ تكرارِ لفظة الرِّزق في الآية:

في العمل الصالح بذرةُ حقيقة ثوابه

في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ تكرَّر ذِكرُ الرِّزقِ في الآية ثلاثَ مرّاتٍ وبعدَّةِ صيغٍ، وهي: ﴿لَيَرۡزُقَنَّهُمُ﴾ بصيغة المضارع، و﴿رِزۡقًا﴾ بالمصدر، و﴿ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ بصيغة اسم الفاعل المجموع، وذلك تحسينٌ للكلامِ وإحكامٌ له، وتأكيدٌ لتحقيقِ وعدِ الله للمهاجرين بالرِّزق بما يُطمئن قلوبهم، وتنويهٌ على أهميَّة رزق الله تعالى وعظمته وكثرته، وهذا التَّكرارُ لمعنى جزء من معاني آية الثَّواب صورةٌ لبالغ الصُّعوبة والمَشَقَّة التي لاقاها الذين هاجروا، ثم قُتِلوا، أو ماتوا.

بلاغةُ القصرِ ونوعه في فاصلة الآية:

تفرَّدَ الله ﷻ بالرِّزق فأبدع فيه

ضميرُ الفصل (هو) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، يُفيدُ القصرَ، وهو قَصرٌ حَقيقيٌّ، يؤكِّدُ أنَّ اللهَ هو وحده الرّازقُ على الحقيقة، ورزقهُ لا يقدِرُ عليه أحدٌ غيرُه، وفي التوكيد بالقصرِ تصويرٌ لعَظَمةِ رِزقِ اللهِ تعالى[1].

دلالةُ ﴿خَيۡرُ﴾ على أفعل التَّفضيل:

ليس كمثل رزقِهِ رزقٌ؛ لأنَّه الرّازقُ

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بأفعل التَّفضيل ﴿خَيۡرُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ مع العلم بأنَّ كلَّ الرِّزقِ من عنده سبحانه؛ للإشارةِ إلى أنَّه تعالى مُختصٌّ بأنْ يرزقَ بما لا يقدرُ عليه غيره تعالى، وبأنَّه الأصلُ في الرِّزقِ، وغيرُه إنَّما يرزق بما له من الرِّزقِ من جهةِ الله، وينقلُ الرِّزقَ من يده إلى يدِ غيره، لا أنَّه يفعلُ نفسَ الرِّزقِ،

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 116، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 322.

وأنَّ غيره إذا رَزَقَ؛ فإنَّما يرزقُ لانتفاعهِ به، إمّا لأجلِ أنْ يخرجَ عن الواجب، وإمّا لأجلِ أنْ يستحقَّ به حمدًا أو ثناءً، أمّا الحقُّ سبحانه؛ فإنَّ الرِّزقَ الصادرَ منه لمحضِ الإحسان والتفضُّل؛ لأنَّ كماله صفةٌ ذاتيَّةٌ له، فلا يستفيد من شيءٍ كمالًا زائدًا، ولولا أنَّ الله تعالى أعطى ذلك الإنسان أنواعَ الحواسِّ، وأعطاه السلامةَ والصِّحَّةَ والقدرةَ على الانتفاعِ بذلك الرِّزقِ؛ لَما أمكنه الانتفاعَ به، ورِزقُ الآخر لا بدَّ وأنْ يكون مسبوقًا برزقِ اللهِ وملحوقًا به حتى يحصلَ الانتفاع، وأمّا رزقُ الله؛ فإنَّه لا حاجةَ به إلى رزقِ غيره، بالإضافة إلى أنَّ المرزوقَ يكون تحت مِنَّةِ الرّازقِ، ومِنَّةُ الله أسهلُ تحمُّلًا من مِنَّةِ الآخرين[1]، وهذه المعاني السّابقة تُؤكِّدُ عظيمَ تفضُّلِ وعطاءِ الله، وعظيمَ رزقِه تعالى، فلا رزقَ كرزقِهِ سبحانه، الذي هو خيرُ الأرزاقِ لصدورهِ من خيرِ الرازقين[2].

نكتةُ جمع ﴿ٱلرَّٰزِقِينَ﴾:

التَّعبيرُ بالجمعِ في (الــرازقــين) أبلغُ في الثَّناءِ على اللهِ ورزقه

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بصيغةِ الجمع ﴿ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، ولم يقل: (لهو خيرُ رازقٍ)؛ للمبالغةِ في بيانِ أنَّ رزقَ اللهِ هو خيرُ الأرزاقِ لصدورهِ من خيرِ الرّازقين؛ أي: إنَّه رغمَ اجتماعِ كلِّ الرّازقين - فرضًا وجدلًا - فإنَّهم لا يستطيعون أنْ يدانوا رزقَ اللهِ لعباده؛ لأنَّه الرّازقُ على الحقيقة، ولا بدَّ لأيِّ رزقٍ من غيره أنْ يكونَ مسبوقًا برزقِ اللهِ ومُلحقًا به، إذًا فالتَّعبيرُ بالجمعِ أبلغُ في الثَّناءِ على اللهِ وعلى رزقه سبحانه.

وفي الجمع تنبيهٌ على تعدُّد أنواع رزقِهِ تعالى لهؤلاءِ، فمِن جزاء هؤلاء ما لا يقوم به إلّا الحقُّ نفسُه جَلَّ وتقدَّس، كما في قوله: ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ۝٢١﴾ [الإنسان: 21]، ومنه ما يقوم به بعضُ ملائكته بأمرٍ منه ﷻ.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 243.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 311.

نكتةُ فصلِ قوله: ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ﴾:

فَصَل البيانُ الإلهيُّ بين هذه الآية ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ﴾، والتي قبلها ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقٗا حَسَنٗاۚ﴾، ولم يأتِ بالعاطف؛ لِما بين الجملتَيْن من كمالِ اتِّصالٍ، أي: اتِّحادٍ تامٍّ في المعنى؛ بسببِ كونِ هذه الآية بدلَ اشتمالٍ مِن قولِه: ﴿لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ لأنَّ كَرامةَ المَنزِلِ مِن جُملةِ الإحسانِ في العطاءِ، بل هي أبهَجُ لَدى أهْلِ الهِمَم؛ ولذلك وُصِفَ المدْخَلُ بـ﴿يَرۡضَوۡنَهُۥۗ﴾[1]، أو هي استئنافٌ مُقرِّرٌ لمَضمونِه؛ أنَّه لَمّا كان الرِّزقُ لا يَتِمُّ إلّا بحُسنِ الدّارِ، وكان ذلك من أفضَلِ الرِّزقِ؛ قال دالًّا على خِتامِ التي قَبلُ[2].

مظهرٌ آخر لتكريمِ اللهِ لمَنْ خرجوا من ديارهم وأموالهم في سبيله

معنى اللّام في قوله: ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم﴾:

لامُ ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم﴾ في قوله تعالى: ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا﴾ موطِّئةٌ للقَسَم، والجملةُ الفعليَّة جوابٌ لقَسَمٍ محذوفٍ، تقديره: (وعزَّتي وجلالي ليدخلنَّ اللّهُ المهاجرين في سبيله إدخالًا كريمًا أو مُدخلًا كريمًا، وهو الجنَّة)، وفي هذا توكيدٌ لوعدِ اللّهِ لهم بالمدخلِ المرضيِّ تبشيرًا وإكرامًا لهم، وحثًّا على الثَّباتِ في الهجرةِ والجهادِ في سبيلِ اللّه، وتعريضًا من تقاعسٍ عن الهجرة، أو مَن يهاجر لدُنيا يصيبها أو امرأةٍ ينكحها.

القَسَمُ توكيدٌ يُطمئنُ المؤمنين ويحثُّهم على الهجرة ويُعرّضُ بالمتقاعسين

نكتةُ إضمارِ الفاعل مع الإدخال دونَ الرِّزق:

أضمرَ البيانُ القرآنيُّ فاعلَ ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا﴾، ولم يَقُلْ: (ليدخلنّهم اللّه) اختصارًا؛ لأنَّه سَبَقَ ما يدلُّ عليه، وهو فاعلُ ﴿لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقٗا﴾، وخاصَّة أنَّ قوله تعالى: ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا﴾ بدل من قوله: ﴿لَيَرۡزُقَنَّهُمُ﴾، ولكون فعلِ إدخالِهم الجنَّة لا يصلحُ إلّا للّهِ سبحانه، فلا ينصرفُ الذِّهنُ فيه إلّا له سبحانه.

الرِّزقُ الحَسَنُ والمُدخل المرضيُّ للمهاجرين في سبيلِ اللهِ لا يكونُ إلّا منه سبحانه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 311.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 77.

فائدةُ تتابعِ المؤكِّدات في: ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ﴾:

أرضوهُ بالهجرة في الدنيا، فأرضاهم في الآخرة

تضمَّن قولُهُ تعالى: ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ﴾ عدَّة مُؤكِّدات من البدليَّة في ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم﴾، التي قرَّرتِ الرِّزقَ الحسنَ وهو الجنَّة، واللّامِ الموطِّئة للقَسَم، والقَسَم، ونونِ التَّوكيد الثَّقيلة، والمصدر الميمي ﴿مُّدۡخَلٗا﴾ الذي أُكِّد به فعلُهُ[1]؛ إذِ التقدير: (ليدخلنَّهم إدخالًا كريمًا)، بما يفيدُ المبالغةَ في عِظَم هذا المُدخل الذي وعدَ اللّهُ به المهاجرين في سبيله، فقد خرجوا مخرجًا يُرضي الله، فتعهَّد لهم الله بأنْ يُدخلهم مُدخلًا يرضونه.

نكتةُ تنكيرِ ﴿مُّدۡخَلٗا﴾:

المدخلُ العظيم من ربٍّ عظيم

نَكَّرَ البيانُ الإلهيُّ لفظَ ﴿مُّدۡخَلٗا﴾ في قوله تعالى: ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ﴾ في سياقِ الامتنان؛ لإفادةِ معنى التَّفخيم والتَّعظيم في الإكرامِ الإلهيِّ للمهاجرين، فهو إدخالٌ عظيمٌ من ربٍّ عظيم، أو مكانٌ عظيمٌ من ربٍّ كريم، لا يُحَدُّ حَدُّهُ، ولا يُقدَّرُ قَدْرُه، أيْ: ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بَشَرٍ.

توجيهُ القراءاتِ المتواترة في ﴿مُّدۡخَلٗا﴾ وبلاغتها:

مَن فقِهَ حركةَ المعنى؛ فقِهَ سِرَّ حركة المبنى

في قوله تعالى: ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ﴾ قراءتان مُتواترتان للفظ ﴿مُّدۡخَلٗا﴾[2]؛ إذ قرأها الجمهور بضمِّ الميم من (أدخلَ) المزيد، فهو محمولٌ على الفعلِ المذكور ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم﴾، تَقول: أدخلَ يدْخلُ إدخالًا ومُدخلًا، وهو اسْمُ مَكانٍ، أُريد به الجنَّة، فهو مفعولٌ ثانٍ للإدخالِ، أو مصدرٌ ميميٌّ أُكِّدَ به فعلُهُ.

وقرأ نافع وأبو جعفر ﴿مَّدۡخَلٗا﴾ بفتحِ الميم على أنَّه مصدرٌ واسمُ مَكانٍ، تَقول: دخل يدْخُل مَدخلًا، وهذا مدخلنا، وكلُّ ما كانَ على وزن فعَلَ يَفْعُلُ؛ فالمصدرُ واسمُ المَكان على مفْعَل، ودلَّ قَوْله تَعالَى:

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 116.

(2) ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص: 439، وابن الجزري، النشر: 2/249.

﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم﴾ على المصدرِ؛ لأنَّهم إذا أُدخلوا دُخولًا؛ فكَأنَّهُ قالَ: ليُدخلنَّهم، فيدّخلونَ مَدّخلًا[1]، وعلى هذه القراءةِ يكون في اختلافِ المصدرِ زيادةُ تأكيدٍ.

ونرى أنَّ كلتا القراءتَيْن تُفيدُ التَّوكيد مع زيادته في قراءةِ الفتحِ، والحملُ على مُتغايرَيْنِ هو الأعلى؛ لأنَّ الجملةَ الواردةَ فيها هاتان القراءتان تفصيلٌ للرِّزق الحَسَن، وأنَّ اللّه خيرُ الرّازقين، فذلك أدلُّ على الحُسْنِ والخيريَّةِ.

نكتةُ تركِ وصفِ المُدخل بالحَسَنِ، كما وُصف الرِّزق:

المدخلُ الموعودُ فيه من الكرامةِ ما يحقِّقُ كمالَ رضاهم

ترك البيانُ القرآنيُّ وصفَ المُدخل بالحَسَنِ في قوله تعالى: ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۚ﴾، فلم يصفهُ كما وصفَ الرِّزق، فلم يَقُلْ: (ليُدخلنّهم مُدخلا كريمًا أو حسنًا)، وإنَّما وصفه بـ﴿يَرۡضَوۡنَهُۥۚ﴾ اختصارًا؛ إذ قد سبقَ ذِكْره، وخاصَّةً أنَّ قوله: ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم﴾ بدلُ اشتمالٍ من قوله: ﴿لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقٗا حَسَنٗاۚ﴾، وللمبالغةِ في بيانِ عِظَم هذا المُدخل، فهو ليس حسنًا فحسبْ؛ بل فيه من الكرامةِ ما يحقِّقُ كمالَ رضاهم الذي لا ينقطع؛ لأنَّ كَرامةَ المَنزِلِ مِن جُملةِ الإحسانِ في العطاءِ، بل هي أبهَجُ لَدى أهْلِ الهِمَمِ[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعل المضارع ﴿يَرۡضَوۡنَهُۥۚ﴾:

جـــدَّدوا اســتــعــذابَ الــهــجــرة في سبيله؛ فجدَّدَ لــهــم كــمــال الإحـــســـاس بنعيمه

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بالمضارع ﴿يَرۡضَوۡنَهُۥۚ﴾، في قوله تعالى: ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۚ﴾ لِما في المضارع من دلالةٍ على عِظَم هذا المُدخَل، وهو الجنَّةُ التي تجري من تحتها الأنهار؛ إذ إنَّ استطابتهم لنعيمِها مستمرٌّ، وتفكُّههم بخيرها مُتجدِّدٌ، وهذا فيه إشارةٌ إلى مزيدِ عطائه لعبادِه المؤمنين يومَ القيامةِ ومزيدِ تكريمِه

(1) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص: 481، وابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 130، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 311.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 311.

وتشريفِه لهم؛ إذ إنَّه يعدُّهم وكأنَّهم ضيوفه يوم القيامةِ، ويحرصُ على دوامِ رضاهم واستمرارِه[1]، كما أنَّ التَّعبير بالمضارع يفيدُ تصويرَ حالهم، وهم في كمالِ رضاهم.

الموقعُ النَّحويُّ لقوله: ﴿يَرۡضَوۡنَهُۥٓ﴾:

سعوا في إرضاءِ اللهِ ﷻ فأرضاهم

﴿يَرۡضَوۡنَهُۥٓ﴾ صفةٌ للإدخال أو للجنَّة، وهو وصفٌ لهما بكلِّ جميلٍ؛ لأنَّ ما وقعَ موقعَ الرِّضا، فقد كَمُل[2]، ولأنَّهما يرضى بهما كلُّ طبعٍ وعقلٍ[3]، ولأنَّ إدخالهم يكون من غيرِ مشقَّةٍ تنالهم، بل براحةٍ واحترام[4]، وإنَّه لمظهرٌ لتكريمِ اللهِ لهم بأنْ يتوخّى ما يرضونه، فيحقِّقَهُ لهم، وهم عباده، وهو خالقهم سبحانه، كما أنَّ هذا الوصفَ بـ(يرضونه) دليلٌ على اشتمالِ الجنَّة على أقصى ما يريده الإنسانُ، كما قال تعالى: ﴿لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ﴾ [النَّحل: 31].

معنى الواوِ في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾:

في العطفِ جمعٌ بين علمِ الله وحلمِه فيما يخصُّ المؤمنين أو أعدائهم

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ عاطفةٌ، والمعطوفُ عليه إمّا جملةُ ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۚ﴾، والمعنى: أنَّه عليمٌ بما يُرضيهم، فيعطيهم إيّاه، وحليمٌ على ما قد يبدرُ منهم من هفواتٍ، فلا يُنقص من أجرهم، أو جملةُ ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ﴾، والمعنى: أنَّه عليمٌ بأحوالهم وأحوالِ أعدائهم، وبما يستحقّونه، فيفعله بهم، ويزيدهم، وأمّا الحليمُ؛ فالمُرادُ أنَّه لحلمه لا يعجلُ بالعقوبةِ فيمَن يقدمُ على المعصيةِ والكيدِ لأهلِ الحقِّ، بل يمهلُه لتقعَ منه التَّوبةُ، فيستحقُّ منه الجنة[5].

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 5012.
(2) أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 10/ 528.
(3) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 7/ 435.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 180.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 244، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 180.

فائدةُ تتابعِ المُؤكِّدات في فاصلة الآية:

تفردوا بالهجرة، فتفرَّدوا بعظيم آثار علمه وحلمه

تتابعتِ المُؤكِّدات في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ من (إنَّ) التي تفيدُ التَّوكيدَ، والجملةِ الاسميَّة التي تفيدُ الثُّبوتَ والدوامَ، واللامِ في ﴿لَعَلِيمٌ﴾، وصيغةِ مبالغة (عليمٌ) من: عالم، أي: كثيرُ العلمِ بكلِّ أحوالِ خلقهِ وكونه، وهو حليمٌ على ما قد يبْدرُ منهم من هفواتٍ، فلا يجعلها تُنقصُ من رزقهم الحَسَنِ، ومن الرِّضا الذي يجدونه في المدخلِ الذي خصَّهم اللّٰهُ به، وقد أفادَ هذا التَّتابعُ للمُؤكِّداتِ المبالغةَ في تأكيدِ علمه وحلمه سبحانه بما يُدخلُ الطمأنينةَ على قلوبهم.

نكتةُ تذييلِ الآية بـ ﴿لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾:

فائدةُ تقديم صفةِ العلم على الحلم:

ترتيبُ صفاتِ الله قد يُنظر إلى ترتيب آثارها في الواقع

قدَّمَ البيانُ القرآنيُّ صفةَ العلم على صفة الحِلْم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾؛ مناسبةً للسياقِ الذي هو بالعلمِ أوْلَى، فهو يتحدَّثُ عن الجهادِ وثوابِ المجاهدين مَن قُتل منهم أو من مات دون قتلٍ، ونيَّةُ هؤلاء لا يعلمها إلّا العليمُ سبحانه، كما أنَّ البغيَ الذي تعرَّضوا له لا بدَّ له من علمٍ؛ لكي يُحاسبوا عليه، وكذا الرضا الذي وعدَهم اللّٰهُ به لا بدَّ له من علمٍ بما يحقِّقُه عندهم، وللإشارة كذلك إلى أنَّه سبحانه يحلُمُ مع كمالِ علمهِ، بخلافِ المخلوقِ الذي يحلُم عن جهلٍ.

في التَّعبيرِ بالحِلم تناسبٌ مع الآية التالية

كذلك تأخَّرَ اسمُ الله ﴿حَلِيمٌ﴾؛ لأنَّه يفتح البابَ لمجيء الآية التالية، وهي قوله تعالى: ﴿۞ذَٰلِكَ ۖ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾؛ إذ إنَّها تتحدَّثُ عن حقِّ ردِّ العقوبة، لكنْ مع تلويحٍ بالعفوِ والصَّفحِ الذي لا يكون إلّا مع حِلم.

نكتةُ تنكيرِ الاسمَيْن الجليلَيْن ﴿لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾:

نكَّرَ البيانُ الإلهيُّ الاسمَيْن الجليلَيْن في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ

ﭐللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ في سياقِ بيانِ عظيمِ قدرةِ اللهِ وتأكيدها بعدَّةِ مؤكِّدات؛ لإفادةِ معنى التفخيم والتعظيمِ لعلمِ اللهِ وحلمه، فهو عليمٌ بدرجاتِ العاملين ومراتبِ استحقاقهم، علمًا لا يُحَدُّ حدُّه، ولا يُقادر قدْرُه، ولا يعلم أحدٌ شأوه، وقيل: ﴿لَعَلِيمٌ﴾ بأحوالِ مَن قضى نحبَهُ مجاهدًا، وآمال مَن ماتَ، وهو ينتظرُ معاهدًا، ﴿حَلِيمٌ﴾ عن تفريطِ المفرطين منهم بإمهالِ من قاتلهم معاندًا لا يُعاجلهم بالعقوبة[1].

ليس كمثل علمِهِ وحِلْمه علمٌ غيره وحلمه

دلالةُ إظهارِ الاسم الجليل (الله) وتكراره:

أظهرَ البيانُ القرآنيُّ اسمَ الجلالة (اللّه)، وكرَّره في الجملِ السابقة؛ لأمرين: **الأول**: أنَّه أدخلُ في التَّعظيم، وأقوى في التَّفخيم من الإضمارِ، وفيه تربيةُ المهابةِ في النُّفوسِ، بما يزيدُ الثِّقةَ بتحقيقِ الموعود، **والثاني**: استقلالُ هذه الجمل، فإنَّ الأولى: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ﴾ بيانٌ بأنَّه تعالى ليرزقنَّهم، والثانية: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ بيانٌ بأنَّه خيرُ الرّازقين، والثالثة: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ بيانٌ بأنَّه عليمٌ وحليمٌ، والتكرارُ في جملٍ متواليةٍ مستقلَّةٍ مستحسنٌ لاسيَّما إذا كانت مسوقةً للتَّعظيم، بخلافِ التكرار في جملة واحدة، فإنَّه غيرُ مستحسن[2]، ولمّا كان لجلاله وجماله تعالى حضورٌ حيٌّ دائمٌ قويٌّ في قلوبهم ونفوسهم وعقولهم؛ كان لذلك حضورٌ في الحديث عنهم، وذِكْرُه في الثالثة أليقُ بكونها تذييلًا.

كمالُ حضورِ جلالهِ وجمالهِ في نفوسهم

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الهجرة والذهاب:

يتقاربُ لفظا (الهجرة والذهاب)، وقد استعملهما القرآن في آيتَيْن مُتشابهتَيْن في قصَّةِ إبراهيم ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ [الصّافات: 99]، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي

الهجرةُ أخصُّ من الذهاب

(1) القِنّوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن: 9/ 74.

(2) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 13/ 102.

﴿مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [العنكبوت: 26]، ومع هذا التقارب فإنَّ أهلَ اللُّغة فرَّقوا بين الهجرة والذهاب، وإيضاحُ ذلك:

أصلُ الهجرة يدلُّ على قَطيعَةٍ وقَطْعٍ، والهَجْرُ: ضِدُّ الوَصْلِ، وهاجَرَ القَوْمُ من دارٍ إلى دارٍ: تَرَكوا الأولى للثّانية، كما فعَلَ المُهاجِرونَ حينَ هاجَروا من مَكَّةَ إلى المَدينَةِ[1]، والاسمُ الهِجرةُ (بالكسر والضَّمِّ): الخروجُ من أرضٍ إلى أُخْرَى، والخروجُ من دارِ الكُفر إلى دارِ الإيمان[2].

وأصلُ الذَّهاب: المُضيُّ والمرورُ والسَّير[3]، والذَّهابُ: الانتقالُ من مكانٍ إلى آخر[4]، وذهبَ الشَّخصُ: انصرفَ، وغادرَ المكان، وسارَ، ومضى، وذهبَ الطَّيِّبون: ماتوا، وذهبَ الأثر: زال[5].

والحاصل: يتميَّز لفظُ الهجرة بمعنى القطيعة والمفارقة، والخروجُ من دارِ الكُفر إلَى دارِ الإيمان، بينما يتميَّزُ لفظُ الذهابِ بمعنى المُضي والسَّيرِ والمرورِ، والانصرافِ والمغادرةِ والانتقالِ والزوال، وبالتالي: فإنَّ الهجرةَ أخصُّ من الذهاب؛ إذ الذهابُ هو مجرَّدُ الانتقالِ من مكانٍ إلى آخر، بينما الهجرةُ هي الخروجُ من دارِ الكُفر إلى دارِ الإيمان.

الرِّزق والعطاء:

يتقارب لفظا الرِّزقِ والعطاء في دلالتهما اللُّغويَّة، وقد يُستعملُ أحدهما موضعَ الآخر، كما أنَّ الرِّزقَ يُعرَّفُ بالعطاءِ، ومع هذا التَّقارب فقد فرَّق أهلُ اللغة بينهما، وإيضاحُ ذلك من خلال المعنى اللُّغوي والاستعمال القرآني لكلٍّ منهما:

الـرِّزقُ يشملُ النِّعمَ الماديَّة والمعنويَّة؛ والعطاءُ يختصُّ بالأشياءِ الماديَّة

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هجر).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (هجر).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن سيده، المحكم: (ذهب).
(4) محمّد جبل، المعجم الاشتِقاقيُّ المؤصَّل: (ذهب).
(5) المعجم الوسيط، وأحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (طلق).

الرِّزْقُ في أصله يَدُلُّ على عَطاءٍ لِوَقْتٍ، ثُمَّ يُحمَلُ عليهِ غَيرُ المَوْقوتِ، فالرِّزْقُ: عَطاءُ اللّهِ جَلَّ ثَناؤُهُ[1]، والرِّزْقُ: كُلُّ ما يُنْتَفَعُ به مِنْ مالٍ ونَحْوِهِ، والرَّزْقُ بفتحِ الرّاءِ: العَطاءُ الدّائِمُ، يُقالُ: رَزَقَ يَرْزُقُ رَزْقًا، أيْ: أعْطَى، ووَهَبَ[2]، وكُلُّ ما يَصِلُ إلى الجَوْفِ، ويُتَغَذَّى به؛ فهو رِزْقٌ، وقد يُسمَّى المطرُ رِزْقًا، ومِنْ مَعاني الرِّزْقِ أيْضًا: الكَسْبُ، والهِبَةُ، والصَّدَقَةُ[3]، والرِّزْقُ يكون دنيويًّا وأُخرويًّا، ويُطلقُ تارةً على العطاءِ الجاري، نحو: رَزَقَ السلطانُ جُنْدَه، وتارةً على النَّصيب، كقوله تعالى: ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ﴾ [النّحل: 75]، ويُطلقُ على كلِّ خيرٍ وصلَ إلى صاحبه، نحو: رُزِقَ فلانٌ علمًا، ويُطلقُ على المرزوق، كقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ﴾ [النّحل: 71]، ويُطلقُ على الشَّكِّ، كقوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: 82]، أيْ: عكستم القضيَّةَ، فجعلتم مكانَ الشُّكرِ التكذيبَ، والرّازِقُ: خالقُ الرِّزق، ومعطيه، والمسبِّب له، وهو اللّهُ تعالى، وقد يُقال للإنسانِ الذي تسبَّبَ في إيصالِ الرِّزقِ لمرزوقٍ، وأمّا الرَّزّاقُ؛ فلا يُطلقُ على غيرِ الباري سبحانه لِما فيه من المبالغةِ[4].

والعطاءُ أصلُهُ يدلُّ على أخذٍ ومناولةٍ، والعَطْوُ: التناولُ باليد، والمُعاطاةُ: المُناولةُ، والتَّعاطي: تناولُ ما ليس لهُ بحقٍّ، يُقال: فلانٌ يتعاطى ظلمَ فلانٍ[5]، والعَطاءُ والعَطيَّة: اسمٌ لِما يُعْطَى، وعاطَى الصَّبيُّ أهْلَه؛ إذا عَمِلَ لهم، وناوَلَهُمْ ما أرادوه[6].

والحاصل أنَّ الرِّزقَ أعمُّ من العطاء، فالرِّزقُ يُطلقُ على كلِّ نعمِ اللّهِ تعالى الماديَّة والمعنويَّة، الظّاهرة والباطنة، الدنيويَّة والأخرويَّة؛ إذ أصله يدلُّ على عطاءٍ دائمٍ أو لوقتٍ، وكلُّ ما يُنْتَفَعُ به يُسمَّى رزقًا، بينما العطاءُ يختصُّ بالأشياءِ المادّيَّة؛ إذ أصله يدلُّ على أخذٍ ومناولةٍ باليد.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رزق).
(2) ابن دريد، جمهرة اللغة، والجوهري، الصحاح: (رزق).
(3) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (رزق).
(4) الراغب، المفردات: (رزق)، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: 2/ 87 - 88.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عطو).
(6) الزبيدي، تاج العروس: (عطو).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والثلاثون،
سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 35 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-77-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 35 : المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-77-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984898 بتاريخ 2024/11/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»